الإعلام وقضايا المجتمع

obeikandl.com

obeikandl.com

الإعلام والوعى الصحى

أدى الاتصال عامة والإعلام خاصة، عبر العصور دورًا محوريًّا إزاء القضايا الاجتماعية والثقافية والصحية نتيجة ما توفره وسائله من سرعة وشيوع ونظرًا للارتباط الوثيق بين الإعلام والقضايا السائدة فى المجتمع، فالإعلام ينهل من الواقع بإفرازاته ومعطياته الغثة والسمينة فى آن معًا، ويعيد صياغة هذا الواقع ومعطياته بطريقة تسهم فى بلورة المواقف والاتجاهات والحلول للقضايا المأخوذة أساسًا من الواقع،ولعل الإعلام أبرز أدوارًا مهمة فى معالجة اتجاهات ومواقف وسلوكيات الأفراد الخاطئة إزاء العديد من المظاهر السلبية فى المجال الصحى وخصوصًا خلال انتشار الأوبئة فى العديد من دول العالم.

ولكن صورة الإعلام بدأت تأخذ منحى القوة والبروز فى معالجة المشكلات الصحية منذ ظهور الراديو مع بداية القرن الفائت، وتعمقت هذه القوة مع ظهور وانتشار التليفزيون الذى أخذ يقدم الصورة مرفقة بالكلمة مبينًا الأضرار والمخاطر التى تحيط بالأفراد نتيجة بعض السلوكيات غير السوية، كذلك غدت هناك أيام معينة خلال العام تركز فيها القنوات المرئية والمسموعة والوسائل المطبوعة على معالجة وتوجيه انتباه الأفراد على الصعيد العالمى إزاء بعض المخاطر، نتيجة بعض السلوكيات الخاطئة كالتدخين والإيدز والسرطان والوباء الكبدى والطاعون [1].

ولما كان داء الإيدز من أخطر وأبشع الأوبئة التى أصيب بها الإنسان فى العقود الأخيرة، كان من الواجب على الإعلام أن يقوم بدوره المنوط به فى عملية التوعية ونشر الثقافة الصحية لدى المواطنين حتى لا يقعوا فريسة سهلة لهذا المرض اللعين، وخاصة فى ظل تزايد الأعداد التى تُصاب به سنويًّا، فقد كشف تقرير نشره مركز الخدمات الطبية فى لندن، عن أن هناك ٢٣،٢مليون شخص فى العالم أصيبوا بمرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) وأن نحو ١٨٠٠ شخص يُصابون بهذا المرض يوميًّا فى

العالم، وأظهر التقرير أن أكثر دول العالم التى تنتشر فيها الإصابة بالإيدز هى غانا ونيجيريا والكاميرون، وأضاف أن عدد اليتامى الذين توفى آباؤهم بسبب الإيدز يصل حاليًا إلى ١٥ مليون يتيم فى العالم [٢].

وإذا كان الأمر كذلك، من حيث طبيعة الخطر الذى يحدثه هذا المرض اللعين، فإن على مؤسسات المجتمع المدنى بأكملها أن تنهض بمسئولياتها للحد من انتشار هذا الوباء، وتوعية الجماهير بشكل يقيهم من شره وينجيهم من خطره، ولا شك أن أبرز الهيئات والمؤسسات التى يمكن أن تسهم بدور فاعل فى نشر الوعى الصحى والثقافة الصحية كى تحمى الجماهير، وتكون لديهم المناعة والقدرة على مواجهة داء الإيدز اللعين، هى الهيئات والمؤسسات الإعلامية بما تملكه من وسائل جبارة فى التأثير والتغير وسرعة الانتشار وسرعة الوصول إلى قواعد غفيرة وأعداد كثيرة من الجماهير، فى أقل وقت ممكن، وكلما كانت أعداد المصابين بهذا المرض اللعين قليلة والبيئة التى يظهر فيها محدودة، أدى ذلك إلى السيطرة عليه، من حيث المراقبة، والتوجيه والوقاية والتوعية، والعلاج، وكان ذلك أيضًا ، أدعى للتحكم فى الموقف وتحقيق نتائج إيجابية، على أرض الواقع فى مواجهة خطر هذا الوباء اللعين.

وفى دولة كمملكة البحرين فإن نسبة عدد المصابين بمرض الإيدز لا يتجاوز الألف، فقد أفادت رئيسة اللجنة الوطنية لمكافحة الإيدز بوزارة الصحة الدكتورة «سمية الجودر» أن حالات الإيدز فى البحرين تقدر بأقل من ألف حالة بحسب إحصاءات البرنامج المشترك بين وزارة الصحة والمكتب الإنمائى للأمم المتحدة، بمعدل حالة واحدة لكل عشرة آلاف نسمة، ولقد رفعت وزارة الصحة البحرينية فى المرحلة الراهنة شعارًا بعنوان «لنجعل البحرين خالية من الإيدز» وقد ألزمت البحرين نفسها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة لدورة ٢٠٠١ ببرنامج عمل فعال للتصدى لانتشار الفيروس الخاص بنقص المناعة المكتسب والإصابة بالإيدز، وهذا أمر من حيث المبدأ ممتاز، ولا يبقى إلا التنفيذ بجدية [٣]. ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى ماهية وحقيقة هذا المرض الخطير الإيدز، على أنه مرض تناسلى يأتى نتيجة الإصابة بفيروس يهاجم خلايا الجهاز المناعى المسئولة عن الدفاع عن الجسم ضد أنواع العدوى المختلفة وأنواع معينة من السرطان، وبالتالى يفقد الإنسان قدرته على مقاومة الجراثيم

المعدية وأمراض السرطان المختلفة، ويسمى هذا الفيروس، فيرس نقص المناعة البشرى، والاسم العلمى لمرض الإيدز هو: «العوز المناعى المكتسب»، ولا يوجد حتى الآن علاج يشفى هذا المرض لذلك فالإصابة به تستمر مدى الحياة، وكلمة الإيدز مشتقة من الحروف الأولى للاسم العلمى باللغة الإنجليزية [٤].

ولكن مع كل ذلك فإن محاولات البحث والتجريب لدواء شافٍ مستمرة ولن تتوقف، وإذا كان مرض الإيدز بهذا القدر من الخطورة، فإن الواجب يحتم على كل من يملك وسيلة لتوعية الجماهير وحمايتها من الوقوع فيه، وللوقاية منه والابتعاد عن مصادر الإصابة به أن يقوم بدوره، ومن ثم فإن على كل مؤسسات الدولة أن تؤدى دورها المنوط بها فى هذا الصدد، بدءًا من وزارة الصحة إلى أصغر هيئة أو جمعية أهلية تعمل فى الميدان الاجتماعى وتختلط بالجماهير.

ولقد أقيمت الكثير من الندوات والمؤتمرات وورش العمل لدراسة مشكلات الإيدز ووضع الخطط والبرامج لمكافحته، وذلك فى العديد من العواصم العربية والغربية، ومن بين هذه الحلقات النقاشية تلك الحلقة التى عقدت فى البحرين تحت عنوان «دور الدين فى مكافحة الإيدز» و ذلك فى مقر بيت الأمم المتحدة بالتعاون مع اللجنة الوطنية لمكافحة الإيدز ووزارة العدل والشئون الإسلامية، ورأى علماء الدين فى هذا الصدد أن الأسرة الصالحة هى اللبنة الأساسية لبناء وحماية المجتمع، لذا وجب تشجيع إقامة الأسر طبقًا للشرائع السماوية وإزالة العوائق كافة عن طريق بنائها وحمايتها، مع التأكيد على أن الزنا محرم فى كل الشرائع السماوية وضرورة كسر حاجز الصمت من على منابر المساجد والكنائس والمؤسسات التعليمية، فيما يتعلق بهذا المرض الخطير[٥].

ويحسن بنا أن نقدم فى هذا المقام روشتة إسلامية وإعلامية لحماية مجتمعاتنا من طاعون العصر « الإيدز» وتتمثل تلك الروشتة فى الوصايا العشر التالية:

١- حسن الصلة بالله تعالى، والاستعانة به سبحانه، فى كل شأن والاستقامة على أمره فى كل حال.

٢- وضع الضوابط الصارمة على الحجر الصحى فى الموانئ والمطارات لمنع دخول أية حالات مصابة داخل البلاد .

٣- استمرار التوعية الدينية عبر الخطب والندوات وغيرها من الوسائط الاتصالية الجمعية، للتحذير من مخاطر الاختلاط الماجن والإهمال فى المستشفيات والمراكز الصحية المختلفة .

٤- تفعيل كافة وسائل الإعلام على وجه العموم مع القيام بحملات إعلامية توظف فيها جميع القوالب الفنية لمحاربة الفساد الأخلاقى والتسيب القيمى الذى يؤدى فى النهاية إلى السقوط فى مستنقع الإيدز.

٥- تفعيل دور الدراما والأفلام السينمائية وعلى وجه الخصوص معالجة الظاهرة المرضية، وتصويرها بصورة تنقذ الناس منها وتجعلهم فى حذر دائم من الوقوع فى براثن الإيدز.

٦- دعوة أفراد المجتمع وحثهم على الالتزام القيمى والأخلاقى وإلزامهم بمواثيق الشرف الأخلاقية فى مجالات العمل المختلفة .

٧- السعى الدائم نحو تنقية المجتمع من كل مظاهر الفساد والانحلال والميوعة والتفسخ وإحلال محلها مظاهر الطهر والنظافة الخلقية والسلوكية .

٨- عزل المصابين بفيروس الإيدز اللعين، فى أماكن للعلاج والاستشفاء ومنعهم من الاختلاط المفضى إلى نقل العدوى إلى الأصحاء بطريقة أو بأخرى.

٩- وضع الخطط لإبراء المرضى وجلب الدواء لهم للقضاء على تلك الظاهرة المرضية، قضاء نهائيًّا فما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله .

١٠-عدم تسرب اليأس والقنوط من رحمة الله القريبة من المحسنين ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فعلى المرضى والمعالجين انتظار الفرج والتسلح بسلاح التفاؤل والأمل والثقة فى الله تعالى واليقين بأنه المعافى من كل بلاء، مع التطبيق الكامل لكل تعاليم الإسلام السمحة وأحكامه الشاملة لكل مناحى الحياة حتى يتحقق موعد الله لكل من استجاب لأمره ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

وتقدم الدكتورة «ماجى الحلوانى» مجموعة من المقترحات لوسائل الإعلام المختلفة كى تزيد من فاعليتها فى مجال نشر الوعى الصحى وتكريس الثقافة العلمية فى المجتمعات العربية، ومن أهم هذه المقترحات ما يلى:

١- زيادة عدد البرامج الصحية والتى تُعنى بالدرجة الأولى بالتوعية الصحية من

حيث السلوك وزيادة عدد التنويهات الصحية كوصفات للوقاية من الأمراض التى تنتج عن السلوكيات الخاطئة فى المجلات الصحية .

٢- أن تركز البرامج على استضافة الأطباء المتميزين فى تخصصاتهم المختلفة وإعداد دورات متخصصة بالصحة للقائمين بالاتصال فى المجالات الإعلامية المختلفة وأن تكون هذه الدورات بشكل دورى ومستمر.

٣- الاعتماد على دراسات متعمقة تقدم مؤشرات رقمية عن الأمراض وعدد الحالات وأسباب وآليات الوقاية منها.

٤- التأكيد على ضرورة الابتعاد عن القوالب الجاهزة فى تقديم وعرض المواد الإعلامية التى تعنى بتعديل السلوكيات الصحية .

٥- أن يكون للبرامج الإعلامية المقدمة هدف إستراتيجى يتمثل فى المساعدة على بناء جيل يعى المفهوم الصحى المتكامل ويتمتع هذا الجيل بممارسات صحية وعادات سليمة منذ الصغر.

٦- الإسهام مع صناع القرار فى المواقع المختلفة لتعزيز المفهوم الكامل لتعزيز الصحة وتشجيعهم على تبنى سياسات واتخاذ القرارات وسن القوانين التى تعمل على تعزيز الصحة العامة .

إن مؤسساتنا التعليمية مطالبة اليوم بإنماء وإثراء المعارف الصحية وتعزيز السلوكيات الصحية الإيجابية وتبديل السلوكيات الخاطئة لشرائح الأطفال والمرأة والشباب فى مجتمعاتنا وبدون اضطلاعها بهاتين المهمتين فإن كل مهامها الأخرى تصبح دون فائدة تذكر، ولكى تضطلع بذلك عليها الاهتمام أكثر بآليات عمل مضامين وسائل الإعلام فى تعديل اتجاهات وسلوكيات أفراد المجتمع نحو المفهوم الكامل لتعزيز الصحة[٦].

وفى السياق ذاته أكد وزير الصحة البحرينى «فيصل الحمر» على ضرورة أن يأخذ الشباب نصيبه من عملية التوعية للوقاية من هذا الوباء الفتاك ودمجهم فى مختلف الفعاليات التى تصب فى هذا الاتجاه، وذلك لأن فئة الشباب هى الفئة المحفوفة بالمخاطرة لعدوى فيروس الإيدز، وأشار إلى أن من أهم عناصر النجاح الأساسية فى التصدى لهذا الخطر المتربص بالأفراد والأسر والمجتمعات الالتزام الوطنى الموحد

وهو التزام القيادات السياسية والفعاليات المؤثرة فى دعم جهود مكافحة الإيدز وتسخير جانب من سلطاتها وإمكاناتها ومواردها لهذا الغرض الإنسانى النبيل ، وشدد على ألا تقتصر الجهود الوطنية على التوعية العامة للجمهور عن طريق وسائل الإعلام المعتادة، بل يجب أن تكون هناك رؤية أكثر واقعية وذكاءً بحيث يتم التركيز على الفئات الأكثر تعرضًا لمخاطر الإصابة بعدوى الفيروس والعمل على حماية الأجيال الناشئة من الإصابة بالعدوى وذلك من خلال إعداد وتطبيق مناهج مدرسية حول الوقاية من فيروس الإيدز بحيث تتلاءم وثقافات الشعوب وقيمهم الدينية بالإضافة إلى محاربة الأمية الثقافية الفقر والبطالة، التى هى أساس كل البلايا[٧].

وبعد، فإنى أرى أن الأمر جد خطير ويجب على الجميع أن يؤدى دوره المنوط به سواء أكان من المسئولين أم كان من الإعلاميين أو علماء الدين أو غيرهم؛ لأن المصاب جلل ولا يجوز أن يلقى أى طرف بالمسئولية على غيره، بل على الجميع أن يكون على مستوى المسئولية وخاصة وسائل الإعلام المختلفة فإن عليها الدور الأكبر فى التصدى لهذا الوباء وللقيام بنشر الوعى الصحى والثقافة العلمية لدى الجماهير حتى تكون لديهم المناعة وتحصنهم ضد كل ما يصيبهم من أذى أو مرض أو خطر.

الحريات الإعلامية

إن رقى الأمم يُقاس عادة بمدى تقدم إعلامها وتطوره، فإذا كان الإعلام فى أمة من الأمم يحرز كل يوم سبقًا، ويحقق بكل عمل نصرًا، ويكتسب فى كل خطوة أرضًا، فإن فى ذلك دلالة على أن هذه الأمة، تمتلك قدرًا كبيرًا من الرقى الحضارى، واستعدادًا هائلًا لأن تكون مرشحة لتحيى سيدة بين الأمم ، والواقع أن مرد ذلك كله ، يرجع إلى أن الإعلام لا يتقدم ولا يتطور إلا فى مناخ فسيح من الحرية، فإذا رفرفت رايات الحرية فى بلد، فإنه قد كتب لنفسه شهادة ميلاد وبقاء لا تنتهى ، إلا بسقوط تلك الرايات المرفوعة وهذه الحقوق الممنوحة لشعوب تلك البلاد.

من أجل ذلك نرى الإعلام فى البلاد الغربية، يحرز كل يوم تقدمًا، بسبب الحرية، التى تعيشها تلك البلاد وطالما أن الإعلام يأخذ حريته ، فهذا معناه أنه يؤدى دوره بكفاءة واقتدار ويحقق كل ماتحتاج إليه الشعوب أن يقدم لها من أخبار ومعلومات وتحليلات ومحافظة على تراث الأمة ونقل لميراثها الحضارى والثقافى عبر الأجيال، إلى غير ذلك من الوظائف المهمة التى يمكن أن يعكسها الإعلام المعاصر.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل الإعلام فى عالمنا العربى ينال أو يحظى بشىء من هذه الحرية التى ينالها أو يحظى بها الإعلام الغربى؟ والجواب معروف للقاصى والدانى، ولو قلت غير ذلك لاتهمت ، بما لا أحب ولكن أرى أن طرح السؤال بطريقة أخرى فينبغى أن يكون على هذا المستوى : هل الحريات، الإعلامية فى عالمنا العربى ممنوعة أو محجوبة؟ والجواب: بصراحة لا، فالحريات الإعلامية فى بلادنا العربية، قائمة وموجودة، ولكن بقدر وبنسب متفاوتة ومختلفة، من موقع لآخر ومن قطر لقطر فى بلادنا الحبيبة، فهناك دول حرية الإعلام فيها مخنوقة ولا تكاد وسائل إعلامها تبين، فهذه الدول لا يستطيع إعلامها أن يتنفس بشكل طبيعى، ولكن قد يحتاج فى أحيان كثيرة إلى عمليات تنفس صناعى حتى يظل على قيد الحياة .

وهناك دول قدمت رجلًا وأخرت أخرى، فى مجال الإعلام فتمنح الإعلام حرية على طريقة القطارة، وهذه الدول إذا أحسنت صنعًا، فعليها أن تمنح وسائل إعلامها المختلفة، الحريات الحقيقية التى نصت عليها الدساتير والقوانين، وتقطع حالة الخوف من منح الإعلام حريته؛ لأن الإعلام المسئول، إذا منح هذه حريته، فك قيده، وسمع صوته، وانطلقت يداه، تنويرًا وتثقيفًا وتنشئة وتربية وتعليمًا وإمتاعًا وترفيهًا بين أبناء الأمة التى منحته هذا الصك - صك الحرية.

وهناك دول قطعت شوطًا طويلًا فى مجال منح الإعلام حريته وأعطت وسائل إعلامها الحد الأعلى المتاح من الحريات الإعلامية الممنوحة فى عالمنا العربى، ومن ثم أثمرت هذه الحرية ثمارًا طيبة ، وحققت تلك الدول من وراء ذلك مكاسب سياسية هائلة، وكنا إلى عهد قريب فى مصر نقول: إن الأحزاب السياسية عبارة عن صحف تصدر عن هذا الحزب أو ذاك وأن صحف الأحزاب أشهر من الأحزاب نفسها وأن الصحيفة هى التى تعرف بالحزب لا العكس وقد صرنا اليوم نعرف الدول فى عالمنا العربى ببعض وسائل إعلامها، ليس لشىء إلا لأن هذه الدول قد منحت إعلامها قدرًا هائلًا من الحرية، وكانت تلك الوسائل على مستوى المسئولية الوطنية قبل أن تكون على مستوى المسئولية المهنية.

وأخيرًا أطرح سؤالًا أراه مهمًّا - من وجهة نظرى - وخاصة فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخ أمتنا العربية ، والتى تمر بمنعطف صعب على المستويين الداخلى والخارجى معًا، و السؤال هو: ما المطلوب من رجل الإعلام أولًا، ومن رجل الحكومة ثانيًا، ونحن على هذه الحال؟ أقول: المطلوب وبصراحة شديدة من رجل الإعلام أولًا أن يكون على مستوى المسئولية الوطنية والمهنية وألا يكون حكوميًّا، أكثر من الحكومة، وأن يخلع عنه عباءة التخوين ، التى طالما ارتداها البعض، ويشرع الجميع فى ارتداء زى الوطنية والمهنية ويتحركون بكل قوة فى المساحة المتاحة لهم وألا يكتفوا بذلك ، بل عليهم أن يذهبوا إلى أكثر من ذلك ، عليهم أن يطالبوا، بل يلحوا فى الطلب كى يحصلوا على المزيد من الحريات، فما إن ينتهوا من الحصول على شىء حتى يطالبوا بأشياء أخرى تدعم حريتهم وتُعلى من قدرها وترفع من ثقفها، كل ذلك وفق الضوابط والأطر الصحيحة والمشروعة وهو ما يُسمى فى الفقه السياسى المعاصر، بالجهاد السلمى أو النضال الدستورى والحراك الإعلامى.

وعندما يفعل الإعلامى ذلك، إنما يفعله من منطلق حرصه على أداء واجبه المهنى ، بعيدًا عن أية ضغوطات أو منغصات، بل إن مطالبته، كل يوم بمزيد من الحرية الإعلامية، ينبع فى الأساس من حسه الوطنى وإيمانه بضرورة الإصلاح والتغيير، الذى تحرص عليه وتنادى به الكثير من القيادات السياسية والتنفيذية فى العالم العربى.

أما رجل الحكومة فيجب أن يتخلى عن عباءة التشكيك وأن يتحلى بزى الشفافية والحيدة والموضوعية فى نظرته تجاه رجل الإعلام وأن يعمل جاهدًا، على أن يُقدم إليه ما عنده من أخبار ومعلومات وحقائق وبيانات، بلا تردد أو خوف وأن يسمح بالحرية الكاملة للإعلاميين كى يمارسوا أعمالهم ويوأدوا دورهم ، فلا قوانين استثنائية ولا محاكمات صورية ولا اعتقالات عشوائية ولا إرهابًا للإعلامى ولا قصفًا لقلمه أو إخراصًا لصوته، وأن يتعامل رجل الحكومة مع الإعلامى، على أنه مواطن، يحمل الحب لبلده، والغيرة عليها ويسعى كمثله من الشرفاء، لرفع شأنها وعلو قدرها بين الأمم .

فإذا قام كل من، رجل الإعلام ورجل الحكومة ، بدوره المنوط به، وأدى كل منهما مسئوليته، على النحو الذى رسم له، فسوف نرى مستقبلًا مشرقًا لعالمنا العربى، سوف نرى إعلامًا يستطيع المنافسة، أمام وسائل الإعلام الغربية، إعلامًا يقود الشعوب العربية نحو التنمية الشاملة، ويعمل على رفع الإصر والأغلال عنها ، أما لا قدر الله إذا غاب الوعى عن الجميع وساد المناخ الإعلامى العربى، جوٌّ من التخوين والتشكيك المتبادل، بين رجل الإعلام ورجل الحكومة، فإن المستقبل ينذر بسوء العاقبة وخيبة الرجاء ولن نجنى جميعًا ، من جراء ذلك إلا المر والعلقم، المتمثل فى حالات التخلف وصور الانكسار، وواقع الهزيمة النفسية والتبعية والضياع.

ألا فليتقى الجميع ربهم فى أمتهم وما خولوا إياه من أعمال و مسئوليات، فالكل يعيش على أرض واحدة وفى خندق واحد، يجمعهم وطن واحد وهدف واحد وتقلهم سفينة واحدة والكل مستهدف من قبل أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر ويكيدون لها بالليل والنهار قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾.

الإعلام وبناء المجتمع

لا شك أننا نعيش اليوم عصر السماوات المفتوحة، وذلك عبر الأقمار الصناعية التى تبث إعلامها ليل نهار ونعيش كذلك عصر الإعلام الرقمى عبر شبكة الإنترنت ذلك المحيط المعلوماتى الهائج، وهذا كله من شأنه أن يعظم من الدور الذى يمكن أن يلعبه الإعلام فى مجتمعاتنا المعاصرة.

والإعلام بشكل عام إما أن يكون إعلامًا موجهًا أو أن يكون إعلامًا غير موجه، والإعلام الموجه هو الذى يهدف من وراء ما يقدمه إلى توصيل رسالة ما، هذه الرسالة إما أن تكون بنائية أو أن تكون هدمية، وإما أن تهدف إلى تنوير المتلقى أو تجهيله وإما أن تصنع وعيه أو تزيفه وإما أن ترشده أو تضلله.

وفى كل الأحوال الإعلام الموجه هو ذلك الإعلام الذى يستهدف من ورائه تحقيق هدف معين ليخدم فكرة معينة أو اتجاه معين، سواء أكان ما يقدمه يعتمد على الحقائق أوعلى الأباطيل، هذا هو الإعلام الموجه.

وبذلك يتبين لنا أن الإعلام فى كل دول العالم، سواء المتقدم منه أو النامى ، لا يمكن إلا أن نراه خادمًا لفكرة أو دولة أو حزب أو دعوة وهذا النوع من الإعلام موجود فى كل بلاد الدنيا وأتصور أنه الأكثر شيوعًا، والأوسع انتشارًا والأكبر تأثيرًا بحكم الجماهير التى تتبعه والتى هى فى الأساس مستهدفة من قبله.

أما النوع الثانى من الإعلام فهو الإعلام غير الموجه وهو ذلك الإعلام الذى يقدم رسالته ومادته من أجل خدمة الجمهور وإرشاده وإسعاده وتثقيفه فهدفه فى الأساس بنائى ولا يرمى من وراء مادته الإعلامية إلا تحقيق قيمة الاتصال والقيام بوظائفه المتعددة على خير وجه.

فهذا النوع من الإعلام هو الذى يسعى باحثًا عن الحقيقة ويكون حريصًا على

نشرها فالحقائق المجردة والوقائع الصحيحة هى رأس ماله، فلا يهمه إلا خدمة الجماهير وإفادتهم، فالالتزام بالمعايير المهنية للإعلام هى التى تحركه وهى التى توجهه؛ لأنه إعلام غير مؤدلج أوغير موجه أو غير مسيس، وهذا النوع أيضًا من الإعلام هو الذى يصنع الوعى ويثقف الفكر ويرقق الوجدان ويمتع الروح ويمنع الرذيلة ويحارب الجريمة ويذيع الأمان وينشر السلام فى جنبات المجتمعات.

وهذا النوع من الإعلام كذلك يمكن أن نطلق عليه مسمى آخر، بأنه الإعلام الوطنى أو الإعلام الرسالى، بمعنى أنه إعلام له رسالة إيجابية إنسانية يهدف من ورائها النفع العام لأبناء الوطن بل للإنسانية جمعاء، فهو يؤدى وظائفه التى أسس من أجلها، لا يبتغى من وراء ذلك إلا تحقيق النفع العام والخير للجميع، بصرف النظر عن مذاهبهم أو انتماءاتهم أو ألوانهم.

وبذلك فهو إعلام يبنى ولا يهدم ويشيد ولا يخرب ويصلح ولا يفسد ويصدق ولا يكذب ويعلم ولا يجهل ويهدى ولا يضلل يكشف الحقائق ولا يزورها، إنه إعلام الحقيقة إعلام يرسى مبادئ الديمقراطية والشورى والحرية والعدل والمساواة.

وما العمل الإعلامى فى الواقع إلا أنه مهنة البحث عن الحقائق، ولأن الحق مر، كما هو معروف، وللوصول إلى الحق، لا بد من مواجهة بعض المتاعب والمعوقات والتحديات، ولكن كل ذلك يهون من أجل إحداث التطوير والتغيير والإصلاح والبناء الذى هو غاية كل المجتمعات والذى يلعب الإعلام الوطنى الدور الأكبر والأهم فيه.

الإعلام والحوار الوطنى

حب الأوطان والولاء لها والحرص عليها هو القاسم المشترك بين جميع الذين يعيشون على أرض هذه الأوطان، وينعمون بخيراتها ويستنشقون هواءها ويتمتعون بآلائها، ولا شك أن الإعلام وسائله المختلفة يمكنه أن يؤدى أدوارًا مهمة فى هذا الصدد .

وإذا كان المواطنون جميعًا متساوين فى الحقوق والواجبات، وكلهم أمام الدستور والقانون سواء، يتعاملون فيما بينهم بروح المواطنة ويقيمون حياتهم على أساسها، فيسود بذلك بينهم الود والوئام والحب والاحترام، وكل يؤدى ما عليه من واجبات ويحظى بما له من حقوق، من غير مَنٍّ ولا أذى، فالإعلام أيضًا قادر على أن يكرس تلك المفاهيم الوطنية ويجزرها بين أبناء الأمة الواحدة.

فإذا حدث ما يُعكر الصفو بين أبناء الوطن الواحد أو نشب خلاف هنا أو وقع نزاع هناك أو ظهرت قلاقل هنالك، فليس ذلك معناه أن القيامة قد قامت، أو تكون قد وقعت الواقعة التى ليس لها من دون الله كاشفة!

ولكن الذى يجب أن يسود فى مثل هذه الأجواء هو لغة العقل والحوار والسعى نحو بناء جسور من التفاهم والنقاش فيما بيننا، فخلاف الرأى لا يُفسد للود قضية ولا يقطع وشائج الأخوة بين أبناء الوطن الواحد.

إن مصلحة الأمة ووحدتها ينبغى أن تكون الهم الأول لكل أبناء الوطن، وليس من شك فى أن الذى يسعى لتحقيق مآربه الشخصية على حساب مصلحة الجماعة الوطنية وعلى حساب المصالح العليا للأمة ، هو إنسان فى حاجة ملحة إلى أن يتعلم دروس المواطنة من جديد وفى حاجة كذلك أيضًا إلى أن يتلقى دروسًا عملية فى كيفية التفانى للغير وحب الخير للجميع.

إننا جميعًا ينبغى علينا أن نعلى من قيمة المواطنة وأن نحرص دائمًا وأبدًا على أن تكون هذه القيمة هى شغلنا الشاغل، وأن نوقن تمامًا، أن المواطنة قيمة عليا ، من القيم الأساسية التى يحتمى بها المواطن عند كل شدة ويتحصن بها فى مواجهة كافة التحديات.

وإذا آمن الجميع بأهمية هذه القيمة وعملوا بمقتضاها انحلت أمامهم كل عقدة وانفرجت لديهم كل أزمة؛ لأننا نعلم علم اليقين، بأن الوطن الواحد يجمعنا وأن المصير الواحد يلفنا وأن أية محاولة للالتفاف حول هذه الحقيقة سوف تبوء بالفشل الذريع وما ذلك إلا لأن قيمة المواطنة راسخة فى قلوبنا ومتجزرة فى أرضنا وعالية الجنبات فى أرجائنا.

ومع كل ذلك يجب أن يعى الجميع أن مشكلاتنا لن يحلها غيرنا؛ لأنه ليس من المعقول ولا من المقبول أن نستورد حلولا لمشكلاتنا من الخارج !.

ولأنه لا يوجد مجتمع إنسانى بلا مشكلات، ومن حولنا نرى دول العلم أجمع لديهم مشكلاتهم وأزماتهم، ولكن بأى طريقة تحل هذه المشكلات ويتم التغلب على تلك الأزمات ؟.

هذه هو السؤال المهم، والذى ينبغى أن نجيب عنه بأمانة ووضوح وأقول: الحقيقة ليس هناك فيما أرى إلا طريقة واحدة لحل كل ما يعترضنا من مشكلات أو أزمات على أى مستوى وبأى صورة إلا طريقة واحدة وهى طريقة الحوار بين أبناء الوطن الواحد، الحوار الذى يتسم بالشفافية والمصارحة، والحوار الذى يكون بين العقلاء والحكماء من أبناء الأمة.

لقد باتت مسألة الحوار الوطنى بين أبناء الوطن الواحد أمرًا ملحًّا وضروريًّا؛ لأنه بالحوار وحده يمكن أن نصل إلى حلول حقيقية لحل كل المشكلات وفض كافة المنازعات.

ومن هنا نطالب بضرورة اعتماد لغة الحوار ومنهج التحاور وطريق المناقشة أسلوبًا وحيدًا بين أبناء الوطن للتصدى لكل ما يواجههم من أزمات أو يعترضهم من تحديات أو يكتنفهم من مشكلات؛ لأننا إذا ابتعدنا عن هذا الأسلوب وتلك المنهجية فسوف نرى ما لا نحب ونسمع ما لا يحمد عقباه، وما أمر جماعات العنف والإرهاب عنا ببعيد !.

ولذا فنحن نقول بأمانة وصدق: إن الحوار الوطنى اليوم صار ضرورة من ضرورات الحياة حتى ينعم الجميع بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتنمية والرخاء.

ولا ينبغى أن يقف الإعلام فى هذه المعركة مكتوف الأيدى أو مغمض العينين، بل عليه واجب وطنى هائل يتمثل فى الدعوة الصادقة إلى تبنى مفاهيم المواطنة والدفاع عنها والانحياز إلى الوطن والمواطن لا إلى الفرق والجماعات ولا إلى المذاهب والأيديولوجيات.

obeikandl.com

هوامش ومراجع الفصل الثانى

(١) ماجى الحلوانى، الإعلام وقضايا المجتمع، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠، ص١٠٧.
(٢) الأهرام، بتاريخ ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٨.
(٣) الوسط، بتايخ ١٦ / ٦ ٢٠٠٨.
(٤) الوطن، بتاريخ / ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٧.
(٥) الأيام ، بتاريخ ٥/ ٥ / ٢٠٠٧.
(٦) ماجى الحلوانى، المرجع السابق، ص ١١٠.
(٧) الوقت، بتاريخ / ١٦ / ٦ / ٢٠٠٨ .

obeikandl.com